خطبة صلاة الجمعة 27/9/2013 للشيخ الطبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

"اشتقتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم"

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِه الله فهو المهتَد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ , [آل عمران: 31، 32].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ , [النساء: 64، 65].

وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ , [النساء: 80].

عنوان خطبة اليوم:

"اشتقتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم"

أيها الإخوة:

الأسبوع الماضي اشتقتُ لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فبحثتُ عن شيء يخفف نار الجوى, ويُسَكِّن الشوق, وينقع الغُلَّة، فذكرت المحبين يتعللون بالسماع حين يفوتهم اللقاء.

فاتني أن أرى الديار بعيني ... فلعلي أرى الديار بسمعي

وذكرتُ الشيخ الأديب جلال الدين ابن خطيب داريا المتوفى سنة (810) للهجرة حين يقول:

لم أسْعَ في طلب الحديث لسُمعةٍ ... أو لاجتماع قديمه بحديثه

لكن إذا فات المحبَ لقاءُ من ... يهوى تَعَلَّل باستماع حديثه

فذهبت إلى كتب حديث النبي صلى الله عليه وسلم في مكتبتي.

وبالمناسبة: أدعو كل أخ فينا وأخت أن تحوي مكتبته الإسلامية –فيما تحوي– ثلاثة كتب:

- كتاباً في حديث النبي صلى الله عليه وسلم؛ وليكن: "رياض الصالحين" للإمام النووي.
- وكتاباً في السيرة النبوية الشريفة, وليكن: "الرحيق المختوم" للمباركفوري.
- وكتاباً في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم, وليكن: "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم" للشيخ عبد الله سراج الدين .

ذهبت إلى كتب الحديث في المكتبة فوجدت كتاب: "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير الجزري, جمع فيه ابن الأثير الأحاديث النَّبوية المودَعة في الأصول السِّتة المعتمَدة عند الفقهاء والمحدثين: (موطأ مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنَّسائي، وجامع التِّرمذي)، جمع هذه الأحاديث ورتبها حسب موضوعاتها، يَذْكرُ الحديث ثم يشرح الكلمات الغريبة فيه، فجاء الكتاب مع فهارسه في خمس عشرة مجلدةً.

وللكتاب بركة كبيرة؛ يزيدك إن قرأت به حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وفهماً عنه, وشوقاً إليه.

وأذكر أنني قرأته –مع عدد من الإخوة– قبل عشرة أعوام, فلما انتهينا من قراءته تبدلت أحوال الكثيرين منا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهماً وشوقاً وحباً.

ذهبت إلى كتاب "جامع الأصول" لأقرأ فيه شيئاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم, لأزداد به تعلقاً صلى الله عليه وسلم, ولأجتهد باتباعه صلى الله عليه وسلم, ولأكْثِر من الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم, وليسكن الشوق إليه صلى الله عليه وسلم .

وها أنا في خطبة اليوم أقرأ عليكم – أيها الإخوة – ثمانية أحاديث, أوردها الإمام "ابن الأثير" في كتابه "جامع الأصول", في كتاب المواعظ والرقائق.

1– عن أبي إدريس الخولاني –رحمه الله– عن أبي ذَرّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجعلتُه بينكم محرَّماً، فلا تَظَالموا.

يا عبادي، كُلُّكم ضالّ إلا مَنْ هَدَيتُه، فاسْتَهدُوني أهْدِكم.

يا عبادي، كُلُّكم جائع إلا مَنْ أطعمتُهُ، فاستطعِموني أُطْعِمْكم.

يا عبادي، كُلُّكم عار إلا مَنْ كَسوْتُه، فاستكْسُوني أكْسُكُمْ.

يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفِرْ لكم.

يا عبادي، إنَّكم لن تبلغُوا ضَرِّي فتَضُرُّوني، ولن تبلغوا نَفْعي فتنفعوني.

يا عبادي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم, وإنْسَكم وجِنَّكم، كانوا على أتْقَى قلب رجل واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلْكي شيئاً.

يا عبادي، لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، [كانوا] على أفجرِ قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكم، وإنسَكم وجِنَّكم، قاموا في صعيد واحدٍ، فسألوني، فأعطيتُ كُلَّ إنسان مسألتَهُ، مانقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَطُ إذا أُدِخلَ البحرَ.

ياعبادي، إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أُوفّيكم إيَّاها، فمن وَجَدَ خيراً فليَحْمَدِ الله، ومن وجد غير ذلك, فلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ», [أخرجه مسلم].

قال في شرح الكلمات الغريبة:

الصعيد: وجه الأرض.

والمخيط: -بكسر الميم- الإبرة.

2- عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام، فقال:

«أيُّها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجِفةُ, تَتْبَعُها الرادِفَةُ، جاء الموت بما فيه [جاء الموت بما فيه]», قال: قلتُ: يا رسولَ الله، إني أُكِثرُ الصلاة عليكَ، فكم أجعلُ لكَ من صلاتي؟ قال: **«ما شئتَ»**، قلتُ: الربعَ؟ قال: **«ما شئتَ، وإن زدتَ فهو خير لك»**، قلتُ: النصفَ؟ قال: **«ما شئتَ، وإن زِدتَ فهو خير لك»**، قلت: الثلثين؟ قال: **«ما شئتَ, وإن زدتَ فهو خير لك»**، قلتُ: أَجْعَلُ لك صلاتي كُلَّها؟ قال: **«إذن تُكفَى هَمَّك، ويُغْفَرُ لك ذَنبُكَ»**, [أخرجه الترمذي].

قال في شرح الكلمات الغريبة:

الراجفة: النفخة الأولى؛ التي يموت فيها الخلائق. والرادفة: النفخة الثانية؛ التي يحيون فيها يوم القيامة.

3- عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«ثلاث أُقْسِمُ عليهن، وأُحَدِّثُكم حديثاً، فاحفظوه: ما نَقَصَ مالُ [عبد] من صدقة، ولا ظُلِمَ عَبْد مَظْلمَة فَصَبَرَ عليها؛ إلا زَادَهُ الله بها عِزاً، ولا فتح عبدٌ بابَ مَسألةٍ، إلا فتح الله عليه بها بابَ فقرٍ», [أخرجه الترمذي].

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

«يقولُ الله تبارك وتعالى: ابنَ آدم، تَفَرَّغْ لِعبَادَتي أمْلأُ صَدرَكَ غِنى، وأَسُدَّ فَقْرَك، وإلا تفعلْ ملأتُ يديك شُغْلاً، ولم أَسُدَّ فقرك», [أخرجه الترمذي].

5- عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«بئس العبدُ عَبْد تَخيَّل واختال، ونَسِيَ الكبيرَ المتعال، بئس العبدُ عبد تَجَبَّر واعتدى، ونَسيَ الجبَّار الأعلى، بئس العبدُ عبد سها ولها، ونَسيَ المقابر والبِلَى، بئس العبدُ عبد عَتَا وطَغَى، ونسَيَ المبتدأ والمنتهى، بئس العبدُ عبد يَخْتِل الدِّين بالشهوات, بئس العبدُ عبد طَمَع يقوده، بئس العبدُ عبد هوى يُضلُّه، بِئس العبد عبد رَغَب يُذِلُّه», [أخرجه الترمذي].

قال في شرح الغريب:

السهو: الغفلة, والعتو: التجبر والتكبر والطغيان ومجاوزة الحد.

تخيل واختال: من الخيلاء؛ وهو العجب والتكبر في الأفعال، الخَتَل: الخداع والمكر, يريد أنه يمكر ويخدع الناس بالدين؛ ليُحصِّل الدنيا.

6- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ كانَتِ الآخرةُ هَمَّهُ، جعل الله غِناه في قلبه، وجمع عليه شَمْلَهُ، وأتَتْهُ الدنيا وهي راغِمَة، وَمَنْ كانت الدنيا هَمَّه، جعل الله فقْرَه بين عينيه، وفرَّق عليه شَمْلَهُ، ولم يأتهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له».

زاد في رواية: **«فلا يُمسي إلا فقيراً، ولا يُصْبِحُ إلا فقيراً، وما أقْبَلَ عبدٌ إلى الله بِقَلْبِهِ؛ إلا جعَلَ الله قُلُوبَ المؤمنين تنقاد إليه بالوُدِّ والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسْرَع»**, [أخرجه الترمذي].

7- عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

«الكَيِّس مَنْ دانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نَفَسَهُ هَواهَا, وتمنَّى على الله», [أخرجه الترمذي].

وقال: قوله: "دان نفسه": يعني حاسَبَها في الدنيا؛ قبل أن يُحاسَب يوم القيامة.

8- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مارأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها», [أخرجه الترمذي].

أيها الإخوة: هذه هي خطبة اليوم، ثمانية أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأتها عليكم, من كتاب "المواعظ والرقائق", في كتاب "جامع الأصول" لابن الأثير الجزري، لنعمل بما فيها، ونُبَلِّغها من لايعرفها, فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولعل منا من سيحفظها.

أنشد الإمام الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

هيئاً لأصحاب خير الورى ... وطوبى لأصحاب أخباره

أولئـــك فـــازوا بتذكيـره ... ونحـن سعدنـا بتذكـاره

فهـم سبقونـا إلى نصـره وهـا نحـن أتباع أنصاره

ولمـــا حُرِمنـا لقـا عينِه عكفنا على حفظ آثاره

عسـى الله يجمعُنـا معـه برحمـة ربـــك في داره

والحمد لله ربِّ العالمين